سعد زغلول نصار :
من إشعاعات رسالة الإذاعة (*)

حين أنشأت اليابان دار الأوبرا المصرية الجديدة، التفت المعنيون بالأوبرا والمسرح، المقدرون للدور والصداقة اليابانية، فوجدوا جاهزا أمامهم كتابا كأنه ترجم خصيصا لهذه المناسبة.. كتاب " المسرح اليابانى" (Japanese Theatre) - أو مسرح " الكابوكى " - للكاتب الأمريكى فوبيون باورز.. كان قد ترجمه سعد زغلول نصار لوزارة الثقافة ونشرته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر فى مايو ١٩٦٤، وهو كتاب فريد فى المكتبة العربية، والمرجع الوحيد فى **بابه، سد حاجة مطلوبة للمسرح، وأعادت هيئة الكتاب طبعه لكثرة الطلب عليه.. ومسرح " الكابوكى " - موضوع الكتاب المترجم - هو مسرح اليابان الشعبى، واحد من الفنون العظيمة القليلة التى لا تزال تعيش فى العالم حتى اليوم.. فيه كل أنواع الإثارة المسرحية، وتختلف مسرحياته ما بين الكوميديا والميلودراما والمسرحيات الراقصة، تناوله الكتاب المترجم من شتى نواحيه، بدأ بمقدمة تاريخية للمسرح اليابانى**

---

* الأهرام ٢٠٠٧/١١/٢٩

وأصله الأسطورى ورقصاته القديمة (الكاجورا، والجيجاكو، والبوجاكو، والدينجاكو، والساروجاكو).. و تناولت " النوه " أى المسرح الغنائى الكلاسيكى فى اليابان، وما داخله من فواصل فكاهية، أو رواية قصصية موسيقية، و " البوزاكو " أو مسرح العرائس.. يبسط الكتاب هذا كله - قبل أن ينتقل إلى " الكابوكى " أو مسرح اليابان الشعبى الحديث.. وكلمة " كابوكى " مكونة فى الأصل من مقطعين : " كا " ومعناها الغناء، و " بو " ومعناها الرقص، ومايعرف اليوم " بالكابوكى" يعنى " البراعة فى الغناء والرقص " عن طريق الامتزاج بين الكلمات والموسيقى، وبين الرقص والحركة. يعرض الكتاب لأنواع مسرح " الكابوكى "، ورحلته عبر العصور، وما أفاده " الكابوكى " الحديث من " الكابوكى " القديم، كما تناول طابع الأدوار، والممثلين، وخشبة المسرح، والعقدة، ومشاهد التأكيد الأساسية، والأشكال المسرحية.. فلسفته الجمالية تبدو فى اللون والحركة وغيرها من سمات هذا المسرح، أما مسرح عصر " ميجى " فيشمل المسرح السياسى ومسرح شينسای شيمبا.. وتعنى " المدرسة الجديدة " التى ظهرت فى أواخر القرن قبل الماضى، وتمثل تطورا فى المسرحيات السياسية.. وعن المسرح اليوم يعرض الكتاب لحالة المسارح الكلاسيكية وحالة المسرح الحديث، ومسرح الجناح اليسارى الذى بدأت تفرضه ظروف اليابان الجديدة التى باتت تنحر من فرصة المسارح الكلاسيكية، وملحق بالكتاب ترجمة لمسرحيات " الكابوكى " : العنكبوت الوحشى، وجابو وابنته تسوجى، وسوكيروكو.. مطالعة هذا الكتاب، توى بالصعوبة الهائلة التى صادفها سعد زغلول نصار فى

ترجمة معانى ومصطلحات المسرح اليابانى إلى العربية، وتعكس مدى ثقافة والتزام وفهم هذا الإذاعى الفذ والأديب المبدع لرسلته.

ترجم سعد زغلول نصار إلى جوار " المسرح اليابانى " أكثر من مسرحية من روائع المسرح العالمى.. منها مسرحية : " هو الذى يُصفع " (بضم الياء) تأليف الكاتب المسرحى الروسى ليونيد أندرييف، نشرت فى (يوليو ١٩٦٥) من سلسلة روائع المسرح العالمى التى كانت تصدرها - فى زمن الاهتمام بالمسرح ! - الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، وتيسرها للقارئ بخمسة قروش !.. والمسرحية تنتمى للمسرح الروسى، ومؤلفها أندرييف لحق بتشيكوف وجوركى، ومن رواد دار نشر " زنانى " (Znanie) أو " المعرفة " التى ساهم جوركى فى إنشائها وأصبحت ملتقى الكتاب الروس الذين يتوخون الواقعية والأدب الهادف، ومنهم أندرييف الذى آثر لنفسه اتجاها يختلف عن جوركى الذى كان يدعو إلى يقظة جديدة وتجديد شامل للمجتمع، بينما طفق أندرييف يصور طبقة المثقفين البورجوازيين المتهالكة قبل زوالها النهائى، ورصد روح الهزيمة التى كانت تعيشها، فجاءت قصصه ومسرحياته مغموسة بجو اليأس والقنوط وفلسفة الخواء واللا شيئية وتفاهة الحياة. ومن أبرز قصصه الطويلة " يهوذا الأسخريوطى " و " السبعة الذين شنقوا "، ثم جعل يظهر بكتاباته المسرحية اللافتة.. وكانت مسرحية " هو الذى يُصفع " التى ترجمها سعد زغلول نصار هى أنجح مسرحياته، ومثلت وثيقة إدانة لأزمة الثقافة فى وقتها.. جسدت - وإن دارت أحداثها فى سيرك، المصاعب والعقبات التى يصادفها المثقف حين يشرع فى إثبات ذاته والتعبير عن رؤيته فى مجتمع سادت فيه المادية والابتذال !

كان سعد زغلول نصار دارسا جيدا للمسرح، تدل ترجماته مثلما تدل مسرحياته : " مين يقول كده " و " ولادك يامصر " - على إلمامه بفنون وقواعد التأليف المسرحى، وخطوطه الأساسية، وإدراكه لأهمية " الفكرة المسرحية " و " الشخصية المسرحية " و " العقدة المسرحية ".. هذه التعددية هى التى أضفت على فهمه وأدائه لرسالة الإذاعة أبعادا لافتة جعلته نموذجا للتمكن والاقتدار فى حمل وأداء رسالته الإعلامية بعامة، والإذاعية بخاصة.

كان سعد زغلول نصار محيراً فى قدرته الهائلة على المتابعة والتحصيل لكل ما يصدر بالعربية التى كان فيها أستاذا متمكنا مالكاً لكل نواصيها، أو بالإنجليزية التى أتقنها وألم بأسرارها.. يتابع المسرح العالمى، والروايات العالمية، مثلما يتابع الكتب والمؤلفات الأدبية والثقافية والنقدية والسياسية.. تتعجب كيف كان يجد الوقت لتقديم كل هذه الترجمات إلى جوار الإبداعات والمؤلفات.. ترجمات " الحرية أو الموت " لكازانتزاكس، وروايتى " ابن البلد " و " الولد الأسود " لريتشارد رايت، ورواية " الأفق المفقود " Lost horizon لجيمس هيلتون، ورواية " العالم المفقود " للكاتب الإنجليزى السير آرثركونان دويل (١٨٥٩ ــ ١٩٣٠)، الذى جمع بين الأدب والخيال العلمى، وبين التخاطب الروحى، وأبدع شخصية شرلوك هولمز الذى نسج حوله والدكتور واطسون العديد من الروايات البوليسية، وكتب كثيرا من الروايات، من أشهرها " العالم المفقود " التى قررت فى آخر الخمسينيات على طلبة الثانوية العامة، وترجمها أيضا سعد زغلول نصار للهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر،

ونشرتها فى " كتب ثقافية " فى نوفمبر ١٩٥٩.. فضلا عن ترجمته أربعة كتب عن ثورة يوليو وجمال عبد الناصر.

القدرة على الترجمة، والمساهمة الملحوظة فيها، ليست بمعزل عن فهم رسالة الإذاعة واقتدار الأداء لها.. ليس فقط لأن الإذاعة متشعبة الخدمات تبعا للغات، بل تبعت القسم " العبرى " لإذاعة صوت العرب، وإنما أيضا لأن الترجمة فرع حقيقى على موسوعية واتساع معارف وثقافة الإذاعى التى هى مكمن قدرته على الاضطلاع برسالة الإذاعة فى تنوير العقل وإثراء الثقافة.. كان العقاد يقول إن هناك من يسنغرق فى حياته " حيوات " رجال.. هذه الخاصية ندح الاطلاع على منابع الثقافة والأدب والمعرفة.. تتعدد روافدها حين تتعدد المعرفة باللغات.. قد يكفى الساعى فى باحة الثقافة معرفة اللغات الأخرى ليطل ويعرف ما كتب وألف بلسانها، أما الترجمة فذلك كله وزيادة.. اختيار كتاب أجنبى لترجمته للعربية، ليس مهمة بسيطة، لأن المترجم مطالب مع نفسه وإراء الآخرين أن يقدم أفضل ما تنتجه القرائح الأجنبية، وأن يتخير منها ما يعبر عن قضية من القضايا التى تهم الإنسانية بعامة، وتعنى الوطن بخاصة.. وهذا الاختيار لا يتأتى للمترجم إلاّ إذا كان صاحب ثقافة عريضة، ومتابعاً مستمراً لما تبثه المطابع العالمية كل يوم.. أما الترجمة ذاتها، فهى فى الواقع عملية إبداعية، لأن المترجم ليس مطالبا فقط بأن يكون على إلمام واسع باللغة التى يترجمها، أو باللغة العربية التى يترجم إليها، وإنما يتعين أن يكون ملمًا بأسرار اللغتين والثقافتين، وأن يكون أديبا صاحب أسلوب يستطيع به فى الترجمة أن ينقل روح النص فى لغته الأصلية إلى ما يوافقه فى اللغة العربية.

لم تكن اختياراته للترجمة اختيارات عشوائية، أو معزولة عن الرسالة التى آمن بها وعمل لها، نراه إلى جوار الانحياز لقضايا التحرير والتحرر الوطنى فى ترجمة " الحرية و/ أو الموت "، نراه مهتماً بالقضايا الإنسانية فى ترجمة " الولد الأسود " و" ابن البلد " للكاتب الزنجى الأمريكى ريتشارد رايت، وكلاهما تومئ إلى تراكمات الظلم والتفرقة العنصرية فى معاملة الملونين بالولايات المتحدة.. ثم نرى هذا الخط حاضرا فى السلسلة بالغة العمق والعراضة التى كتبها عن أفريقيا ونشرتها تباعا المساء الأسبوعى فى أوائل الستينيات، وفى رحلته (١٩٦٨) على الأقدام وبطريقة " الأوتوستوب " فى الربوع والسهول والمدن والأحراش الأفريقية التى تابعتها ونشرتها مجلة صباح الخير على مدى شهور، واستكملها بعد عودته فى عمل بالغ التميز لأدب الرحلات.

هذه الأعمال التى خرجت من إشعاعات الإذاعة، عادت إليها.. إما معروضة فى برامج كقرأت لك الذى عاش عشرات السنين فى صوت العرب، أو فى أشكال درامية أو نصف درامية، صدّى لفهم عريض لرسالة الإذاعة ووفاء مقتدر بحقها.